الماتريدية ربيبة الكلابية

د . محمد بن عبدالرحمن الخميس[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد :

الماتريدية التي تنسب إلى أبي منصور الماتريدي ما هي إلا نتاج من أفكار الكلابية . وإليك التفصيل .

(أ) التعريف :

الماتريدية فرقة كلامية تنسب إلى محمد بن محمد بن محمود بن محمد الماتريدي، أبي منصور الحنفي السمرقندي .

والماتريدي نسبة إلى (ماتريد) بفتح الميم وسكون الألف وضم التاء الفوقانية المثناة وكسر الراء المهملة وسكون الياء ودال مهملة، وهي محلة من سمرقند[2]، ولم يعرف تاريخ مولده على وجه الدقة، وإن كان المرجح أنه حول عام (٢٣٨ هـ) .

وأشهر مؤلفاته :

(١) كتاب التوحيد .

(٢) تأويلات أهل السنة .

---

(١) أستاذ مشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . حصل على الدكتوراه عام ١٤١٢ هـ .

(٢) الأنساب (١٢/ ٢)، والفوائد البهية (١٩٥) .

وأشهر شيوخه :

(١) محمد بن مقاتل الرازي المتوفى سنة (٢٤٨ هـ) .

(٢) نصير بن يحيى، ويقال نصر بن يحيى البلخي المتوفى سنة (٢٦٨ هـ) .

(٣) أبو بكر أحمد بن إسحاق بن صبيح الجوزجاني ثم البغدادي الحنفي .

(٤) أحمد بن العباس بن الحسين بن جبلة السمرقندي أبو نصر العياضي المتوفى في الثلث الأول من القرن الرابع .

وأشهر تلاميذه :

(١) أبو القاسم إسحاق بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الحكيم السمرقندي المتوفى سنة (٣٤٢ هـ) .

(٢) أبو محمد عبدالكريم بن موسى بن عيسى البزدوي (٣٩٠ هـ) .

(٣) أبو الحسن علي بن سعيد الرُسْتُغْفَني .

(٤) أبو عصمة بن أبي الليث البخاري .

وقد توفي أبو منصور الماتريدي عام (٣٣٣ هـ) كما ذكر عامة المؤرخين له[١] .

---

(١) انظر : أصول الدين للبزدوي (ص ٢، ٣، ٢٠٤، ٢٤١)، الجواهر المضيئة لعبدالقاهر القرشي (٣/ ٣٦)، الخطط للمقريزي (٢/ ٣٥٩)، كشف الظنون (١/ ١١٠، ١١١، ٣٣٥، ٣٣٦) و(٢/ ١٤٠٦، ١٤٠٨، ١٥٧٣، ١٧٨٢)، الأعلام (٧/ ١٩)، معجم المؤلفين (١١/ ٣٠٠) وغيرها .

(ب) النشأة والتطور :

أولاً : النشأة : نشأت فرقة الماتريدية على يد أبي منصور الماتريدي والذي تنسب إليه كما تقدم، ولم يكن هناك من أصل لهذه التسمية قبل الماتريدي، ولا نعرف هل ظهرت هذه النسبة إليه في حياته أم بعد وفاته ؟ وقد تأثر الماتريدي ولا شك بالحنفية من الجهمية والمعتزلة والمرجئة أكثر مما تأثر بالحنفية السنية السلفية، فجنى عليه هؤلاء، فيما أثر هو في أتباعه الماتريدية، وجنى عليهم كذلك .

ويبدو أن لا وجود للماتريدية بصورة فرقة إلا بعد وفاة إمامهم الماتريدي؛ لأن الفرقة تتكون من مجموعة تلامذته .

وقد أثر الماتريدي في الحنفية في سمرقند تأثيراً بالغاً، حتى أصبح غالب الحنفية من الماتريدية .

ثانياً : التطور : لقد مرت الماتريدية بعدة أدوار تاريخية أهمها ما يلي :

(١) **دور التأسيس ووضع الأصل** : وهذا كان مرتبطاً بحياة الماتريدي ما بين عامي (٢٣٨ ـ ٣٣٣ هـ)، وقد تميز هذا الدور بكثرة المساجلات بين الماتريدي وبين المعتزلة .

(٢) **دور التكوين** : وقد ارتبط هذا الدور بتلاميذ الماتريدي، ويمتد منذ وفاة الماتريدي إلى نحو عام (٤٠٠ هـ)، حيث انتشر تلاميذ الماتريدي، وبدأوا في نشر كلامه وأفكاره والانتصار لها والدفاع عنها .

(٣) **دور الانتشار** : وقد ارتبط ذلك بظهور أشخاص أكثروا من التأليف والكتابة عن الماتريدي وأفكاره وأصوله والانتصار لها، ويمكن اعتبار هذا الدور ممتداً ما بين عام ٤٠٠ هـ حتى يومنا هذا، وقد ظهر فيه أمثال أبي اليسر البزدوي (٤٩٣ هـ)، وازداد انتشارها على يد أبي المعين النسفي (٥٠٨ هـ)، ونجم الدين عمر النسفي (٥٣٧ هـ)، وحافظ الدين عبدالله النسفي (٧١٠ هـ). وهذا الدور كان من أهم أدوار الماتريدية، وشهد مناظرات بين الماتريدية والأشعرية، وخصوصاً عند نور الدين أحمد بن محمد الصابوني (٥٨٠ هـ) .

وكذلك فقد شمل هذا الدور فترة الحكم العثماني بكاملها والتي شهدت تمكناً وتسلطاً من الماتريدية على عموم الوظائف الدينية في ولايات الدولة العثمانية، وكذلك شهد انتشار مذهب الماتريدية في كثير من البلاد الإسلامية، وشهد ظهور كثير من أعلام الماتريدية كالتفتازاني والجرجاني وابن الهمام ومروراً بمحمد قاسم الديوبندي وأحمد رضا البريلوي ثم الكوثري الماتريدي وغيره .

وقد شهد هذا الدور كذلك هجوماً شديداً من الماتريدية على أصحاب العقيدة السلفية ووصفهم لهم بأشنع الأوصاف وأقبحها، وخصوصاً بعد انتشار الدعوة السلفية ـ التي أطلقوا عليها تشنيعاً اسم الوهابية ـ في الجزيرة العربية[1] .

---

(١) للاستزادة حول هذه الأدوار، راجع كتاب : الماتريدية وموقفهم من الأسماء والصفات، للشمس السلفي الأفغاني (٢٦٢) .

(ج) مصادر التلقي :

ترى الماتريدية أن مصدر التلقي الأول في معظم أبواب التوحيد هو العقل دون النقل؛ وذلك لأن الأدلة العقلية عندهم قطعية[1]، أما السمعية فإنها ـ بزعمهم ـ ظواهر ظنية[2]. وقد قسموا أصول الدين إلى عقليات وسمعيات، فمصدر التلقي في العقليات هو العقل، وهو الأصل، والنقل تابع له، ويشمل هذا معظم أبواب التوحيد والصفات .

وأما السمعيات فمصدر التلقي فيها هو النقل، والعقل تابع له، وتشمل أموراً : كعذاب القبر والصراط وأحوال الآخرة . وأما إذا قدر تعارض بين الأدلة العقلية والسمعية ـ يعني في أبواب التوحيد ـ فإنهم يقدمون الأدلة العقلية التي هي عندهم قطعية، وأما السمعية فعندهم مصيرها التأويل والتحريف أو النفي؛ لأنها إنما هي ظنية بزعمهم[3].

قال الزبيدي عند كلامه عن صفتي الاستواء والنزول حيث أراد وضع قانون كلي لإبطال تلك الصفات فقال : وأجيب عنه بجواب إجمالي، وهو كالمقدمة للأجوبة التفصيلية، وهو أن الشرع إنما ثبت بالعقل . . . فلو أتى الشرع بما يكذبه العقل وهو شاهده لبطل الشرع

---

(١) إشارات المرام (١٨٩، ١٩٩)، شرح العقائد النسفية (٥،٤٢)، نشر الطوالع (٢٢٢) .

(٢) حاشية عبدالحكيم على الخيالي (ص١٨٤) مع المصادر السابقة .

(٣) إشارات المرام (١٩٩)، شرح العقائد النسفية (٤٢)، نشر الطوالع (٢٢٨)، المسايرة (٣٢، ٣٥) .

والعقل معاً، إذا تقرر هذا فنقول : كل لفظ يرد في الشرع . . . وهو مخالف للعقل . . . إما أن يتواتر أو ينقل آحاداً، والآحاد إن كان نصاً لا يحتمل التأويل قطعنا بافتراء ناقله أو سهوه أو غلطه، وإن كان ظاهراً فظاهره غير مراد، وإن كان متواتراً فلا يتصور أن يكون نصًّا لا يحتمل التأويل، بل لا بد وأن يكون ظاهراً . . . [(١)]. والقاعدة عندهم : أن كل نصٍ إذا أخبر به الصادق وهو أمر ممكن ولم يكن مخالفاً فلا يؤول، كالبعث والنشر ونعيم الجنة وعذاب النار، أما إذا كان نصاً دالاً على أمر محال مخالف للعقل ـ بزعمهم ـ فلا بد من تأويله، كعلو الله تعالى واستوائه على عرشه، ونزوله في الثلث الأخير من الليل إلى سماء الدنيا[(٢)].

ويقولون : إن النصوص إذا كانت خلاف العقل، فإن كانت متواترة فهي وإن كانت قطعية الثبوت لكنها ظنية الدلالة، فالعقل مقدم عليها؛ فلذلك الأدلة النقلية تؤول أو تفوض، أما الأدلة العقلية، فلا تأويل لها، بل تأويلها محال[(٣)].

فالحاصل أن منهج الماتريدية في نصوص الوحي باطل فاسد؛ لأنه صريح في أن العقل أصل والشرع تابع له .

---

(١) شرح الإحياء للزبيدي الحنفي الماتريدي (٢/ ١٠٥، ١٠٦)، وانظر أصل هذا القانون الكلي في تبصرة الأدلة (ص ٥٤)، والنور اللامع (ص ٨٠ ـ ٨١ خ)، وكذلك شرح المقاصد للتفتازاني (٢/ ٥٠) الطبعة التركية، وشرح المواقف للجرجاني (٢/ ٥٦ ـ ٥٧) .

(٢) النبراس في شرح العقائد النسفية (ص ٣١٦ ـ ٣١٧) .

(٣) شرح العقائد النسفية (ص ٥، ٤٢) .

(د) الأصول والمبادىء :

إن أصول الماتريدية ومبادئهم قد وافقوا أهل السنة في بعضها وخالفوهم في البعض الآخر، وسنحاول بإذن الله استعراض هذه الأصول بغير إسهاب :

أولاً : الأصول التي وافقوا فيها أهل السنة والجماعة :

(١) **الصحابة** : وافق الماتريدية أهل السنة والجماعة في شأن الصحابة رضي الله عنهم جميعاً، فهم يرون تفضيل أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعاً وأرضاهم، وذلك على ترتيبهم في الخلافة، ويرون أن الحروب التي وقعت بين الصحابة كانت عن اجتهاد، منهم من أصاب، ومنهم من أخطأ، وكلهم مأجور، ولا يجوز القدح فيهم، ويجب الكف عنهم، ويرون أن الطعن في الصحابة إما أن يكون كفراً أو بدعة أو فسقاً [(١)].

(٢) **الخلافة والإمامة** : وهذا كذلك من الأصول التي وافق الماتريدية فيها أهل السنة والجماعة، فهم يرون أن الخلافة الراشدة كانت ثلاثين سنة، ويرون أن الخليفة ينبغي أن يكون من قريش، ويرون ضرورة تنصيب خليفة على الناس، وإمام لهم، يقيم الحدود، ويسد الثغور، ويجيش الجيوش، ويأخذ الصدقات، ويرد المتسلطة وقطاع الطرق، ويقطع المنازعات، وأن

---

(١) العقائد النسفية مع شرحها (ص ١٤٨ ـ ١٦٣)، والبداية للصابوني (ص ١٠٠ ـ ١٠٥)، وأصول الدين للبزدوي (ص ١٧٨ ـ ١٩٨) .

يكون ظاهراً لا مختفياً، ولا يشترط أن يكون معصوماً، ويرون الصلاة خلف كل بر وفاجر من الأئمة، ويمنعون الخروج على الإمام ولو كان جائراً[١].

(٣) **القدر** : وافق الماتريدية أهل السنة كذلك في إثبات القدر، وهم يقولون : إن أفعال العباد كلها من الخير والشر مخلوقة لله تعالى، وإن الله عز وجل هو خالق أفعال الخير والشر وليس كما يزعم المعتزلة أن العبد خالق فعل نفسه . وهم يقولون : إن أفعال العباد خلق لله، وكسب من العباد واختيار منهم . وهم يرون أن هناك فرقاً بين الحركات الاختيارية الإرادية كالبطش ونحوه، وبين الحركات اللاإرادية كالارتعاش ونحوه، والعبد يثاب على الطاعات الاختيارية، ويعاقب على المعاصي الاختيارية كذلك[٢].

(٤) **النُبوَّات** : يرى الماتريدية أن النبوة تثبت للنبي محمد صلى الله عليه وسلم بطرق، منها :

(أ) ما تواتر من أحواله ﷺ وسيرته وكرم أخلاقه وبعده عن الشر والظلم مع قدرته عليه، فكل ذلك يصدقه في دعوى النبوة .

(ب) ما ثبت له ﷺ من المعجزات الكثيرة البالغة حد التواتر، مثل : شق القمر، ونبع الماء من بين أصابعه، وتكثير الطعام والشراب، ونحوها كثير .

---

(١) نفس المصادر والمواضع السابقة .

(٢) العقائد النسفية مع شرحها للتفتازاني ص (٧٥ ـ ٨٣) .

(ج) أنه أتى بالقرآن المعجز وتحدى به الفصحاء البلغاء مع أنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وعجزوا على أن يأتوا بمثله، أو معارضته ولو بأقصر سورة[1]. غير أن الكثيرين منهم يرون أن النبوة لا تثبت إلا بالمعجزة فقط؛ لأنها الدليل اليقيني القاطع الذي لا يقبل الشك. وأكثرهم يقولون بعصمة الأنبياء من الصغائر، وأن ما صدر منهم كان من قبيل فعل خلاف الأولى[2].

(٥) **اليوم الآخر**: وافق الماتريدية أهل السنة والجماعة في الإيمان بالآخرة، وما فيها من الحشر والنشر وأحوال البرزخ والجنة والنار والصراط والميزان والشفاعة وغيرها، وقالوا: إنها من الأمور الممكنة التي أخبر بها الصادق المصدوق ﷺ، ونطق بها الكتاب والسنة؛ فتحمل على ظاهرها[3].

ثانياً: الأصول التي خالف فيها الماتريدية أهل السنة والجماعة:

(١) **التوحيد**: يقسم أهل السنة التوحيد من خلال استقرائهم للنصوص الشرعية إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، فيثبتون هذه الأنواع الثلاثة لله عز وجل.

---

(١) العقائد النسفية مع شرحها (١٣٤ ـ ١٣٧)، والتوحيد للماتريدي (٣٠٢، ٣٠٣)، والبداية للصابوني (٨٩ ـ ٩٣).

(٢) مدارك التنزيل (١/ ٤٣)، كتاب التوحيد للماتريدي (٢٠٢).

(٣) العقائد النسفية مع شرحها (١٤٨ ـ ١٦٣)، والبداية للصابوني (١٠٠ ـ ١٠٥)، وأصول الدين للبزدوي (١٧٨، ١٩٨).

أما الماتريدية فإن التوحيد عندهم ثلاثة أنواع : توحيد في الذات، فالله تعالى لا قسيم له بمعنى أنه لا يتبعض ولا يتجزأ[١] . وتوحيد في الصفات، فالله تعالى لا شبيه له . وتوحيد في الأفعال، فالله تعالى لا شريك له في أفعاله .

يقول ملا علي القاري : واحد في ذاته، واحد في صفاته، وخالق لمصنوعاته[٢] .

ويتضح من هذا أنهم جعلوا توحيد الربوبية هو الغاية العظمى، مع أنه أمر فطري لا يخالف فيه أحد، وكذلك أنهم أهملوا توحيد الألوهية تماماً ولم يتطرقوا إليه بكلمة، مع أنه الغاية العظمى من بعثة الرسل .

وأما الاستدلال على وجود الله تعالى فإنهم يستدلون على وجود الله تعالى بطريقة الحدوث، وهي إثبات حدوث العالم أولاً؛ وذلك أن العالم عندهم جواهر وأعراض، والجواهر لا تنفك عن الأعراض، والأعراض حادثة، وما لا ينفك عن الحوادث فهو حادث[٣] . فالعالم إذن حادث، وإذا ثبت حدوث العالم، فإن الأجسام في العالم لا تجتمع ولا تفترق بنفسها ولا هي قادرة على إصلاح ما فسد منها في حال قوتها وكمالها، وإذا كانت الطبائع المتنافرة لا تجتمع بنفسها فلا بد من قاهر يقهرها على غير طبعها

---

(١) العقائد النسفية مع شرحها (٣٩) .

(٢) ضوء المعاني (ص ١٣) .

(٣) كتاب التوحيد للماتريدي (١١ ـ ١٣) .

وهو الله تعالى[1] .

وهذه الطريقة في الاستدلال مخالفة لطريقة السلف أهل السنة والجماعة الذين يستدلون على وجود الله بدلالة الفطرة وغيرها؛ وذلك لأن طريقة المتكلمين فيها تعقيد شديد، وتكلف قد يخفى على كثير من الناس، وكذلك فإن هذه الطرق توقع في الشبهات التي قد تؤدي إلى زعزعة الإيمان في النفس، ولا سيما في نفوس العوام، إضافة إلى أنه قد يطرأ عليها شبهات كثيرة طويلة تحتاج إلى إبطال لها .

(٢) **الصفات** : ضيق الماتريدية دائرة الإثبات، وتظاهروا بإثبات ثماني صفات هي : الحياة، والقدرة، والعلم، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، والتكوين[2] .

والحقيقة أنهم لم يثبتوا حتى تلك الصفات الثماني، بل أثبتوا بعضها . أما صفتا السمع والبصر فأكثرهم يثبتهما، وبعضهم يرجعهما إلى غيرهما[3] . وإثباتهم للإرادة يختلف عن إثبات بقية السلف .

وأما صفة الكلام فإنهم يقولون بالكلام النفسي الذي لا يسمع، وليس بحرف ولا بصوت[4] . وصفة التكوين عندهم هي

---

(١) كتاب التوحيد للماتريدي (١٧ ـ ١٩) بتصرف .

(٢) إشارات المرام (١٠٧ ـ ١١٤) .

(٣) كما صنع ابن الهمام في المسايرة (٦٩) فإنه أرجعهما إلى العلم .

(٤) التوحيد للماتريدي (٥٨، ٥٩)، تبصرة الأدلة (١١٨ ـ ب)، البداية من الكفاية (٦٠، ٦١)، العقائد النسفية (٥٣ ـ ٥٨)، أصول الدين للبزدوي (٦١)، إشارات المرام (١٣٨، ١٣٩)، بحر الكلام (٢٩، ٣٠) .

مرجع لجميع الصفات الفعلية المتعدية، كالإحياء والإماتة والتخليد، ولكنها في الواقع ليست صفة حقيقية عندهم؛ لأنهم يزعمون أن الصفات الفعلية ليست قائمة بالله، فراراً من حلول الحوادث به[1]. وهم يعطلون ما سوى ذلك من الصفات، كصفة الوجه واليدين والاستواء والنزول والغضب والرضا والمجيء والمحبة والعلو والكلام الحقيقي وغير ذلك . فهم قد صرفوا نصوص إثبات الوجه إلى الذات[2] والوجود[3]، وصرفوا نصوص إثبات اليدين إلى إثبات كمال القدرة[4] أو الملك والمنة[5]، وصرفوا نصوص إثبات صفة الاستواء إلى الاستيلاء[6]، وعطلوا صفة النزول وصرفوا نصوصها إلى اللطف والرحمة[7] وغيرها .

(٣) **الإيمان** : اتفق الماتريدية مع أهل السنة في عدم تكفير مرتكب الكبيرة[8]، لكنهم خالفوهم في أكثر مباحث الإيمان، فمن ذلك :

(أ) قالوا بخروج الأعمال عن مسمى الإيمان، وذلك

---

(١) المواقف (٢٩٣)، والإنصاف (٩٦، ٩٧)، والإرشاد (١٢٨ ـ ١٣٧) .

(٢) مدارك التنزيل للنسفي (٢/ ٦٧٠)، وتفسير أبي السعود (٧/ ٢٨) .

(٣) إشارات المرام (١٨٩) .

(٤) إشارات المرام (١٨٩) .

(٥) بحر الكلام ص (٢٠) .

(٦) التوحيد للماتريدي (٧٢) .

(٧) شرح المواقف (٨/ ٢٥) .

(٨) التوحيد للماتريدي (٣٣٣، ٣٣٤)، والعقائد النسفية مع شرحها (١٠٦ ـ ١٠٨)، وبحر الكلام (٤٣، ٤٤) .

خلافاً لمذهب السلف[1].

(ب) قالوا بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وهذا مخالف لمذهب السلف[2].

(ج) حرموا الاستثناء في الإيمان، وهذا كذلك خلاف مذهب السلف[3].

(د) ذهب أكثرهم إلى مذهب الماتريدي في تعريف الإيمان، وأنه هو التصديق لا غير[4]، وأما الإقرار فهو شرط لإجراء الأحكام الدنيوية[5]، وهذا غلو في الإرجاء، وهو خلاف

---

(١) التوحيد للماتريدي (٣٣٢، ٣٧٣، ٣٧٧)، والبداية للصابوني (١٥٢)، والعقائد النسفية مع شرحها (١١٩)، وأصول الدين للبزدوي (١٥٣)، وشرح المقاصد (٥/ ١٧٦)، والعمدة للنسفي (١/١٧) .

(٢) أصول الدين للبزدوي (ص ١٥٣)، بحر الكلام للنسفي (٤١ ـ ٥٢)، البداية من الكفاية (١١٥)، والعمدة للنسفي (١/١٧)، والعقائد النسفية مع شرحها (١٢٣ ـ ١٢٨) .

(٣) التوحيد للماتريدي (٣٨٨ ـ ٣٩٢)، المسايرة (٣٨١ ـ ٣٨٥)، البحر الرائق (٢/ ٤٦)، البداية (١٥٥)، شرح الفقه الأكبر (٢٠٨ ـ ٢١٢)، وبحر الكلام (٤٠) .

(٤) بحر الكلام (٣٨، ٣٩)، المسايرة (٣٣٠، ٣٣١)، والتمهيد لأبي المعين النسفي (ص ٢٦/ب)، والبداية للصابوني (١١٩ ـ ١٢٣)، وشرح المقاصد (٥/ ١٧٦)، ونشر الطوالع (٣٧٣، ٣٧٤) .

(٥) شرح ضوء المعاني (١٩، ٢٠)، والتمهيد لأبي المعين النسفي (٢٦/ب)، والعمدة للنسفي (١/١٧)، شرح العقائد النسفية (١٢١)، شرح المقاصد (٥/ ١٧٨، ١٧٩)، المسايرة مع المسامرة (٣٣٤)، نشر الطوالع (٣٧٤، ٣٧٥)، الجوهرة المنيفة (ص ٣)، ومختصر شرح الطحاوية ليونس خالص الأفغاني (ص ٩) .

مذهب السلف الذين قالوا : إن الإيمان تصديق بالجنان وقول باللسان وعمل بالجوراح والأركان .

وإن كان فيهم من ذهب إلى أن الإيمان هو التصديق والإقرار[١]، غير أن جمهورهم ذهب إلى تعريف الإيمان بأنه التصديق فقط، كما سبق .

(هـ) أشهر الرجال والفرق :

أولاً : أشهر الرجال :

وسأشير إلى بعض الرجال من المتقدمين والمتأخرين ممن أسهموا في نشر عقائد الماتريدية وتطويرها، وهم :

(١) البزدوي[٢] :

أبو اليسر محمد بن محمد بن الحسين بن عبدالكريم بن موسى ابن مجاهد، نسبة إلى بزدة أو بزدوة .

ولقبه القاضي الصدر، وكان شيخ الحنفية في عصره، ولد عام ٤٢١ هـ، وجده عبدالكريم من تلاميذ أبي منصور الماتريدي، وممن تلقى البزدوي عنهم العلم : أبوه، وإسماعيل بن عبدالصادق،

---

(١) صرح بذلك التفتازاني في شرح المقاصد (٥/ ١٧٦)، وشرح العقائد النسفية (ص ١٢٠)، والمرعشي في نشر الطوالع (ص ٣٧٤)، وأصول الدين للبزدوي (ص ١٤٦)، والعقائد النسفية (١١٩ ـ ١٢٠)، والمسايرة مع المسامرة (ص ٣٣٢، ٣٣٣) .

(٢) انظر ترجمته في: السير (١٩/ ٤٩)، والجواهر المضيئة (٣/ ٣٢٢، ٦٤١) (٤/ ٩٨، ٩٩)، تاج التراجم (٦٠)، كشف الظنون (٢/ ٥٨١)، هدية العارفين (٢/ ٧٧)، معجم المؤلفين (١١/ ٢١٠)، الأعلام (٧/ ٢٢)، وغيرها .

وأبو يعقوب يوسف بن منصور السياري، ويعقوب بن يوسف بن محمد النيسابوري، والشيخ أبو الخطاب، وكان أبو اليسر البزدوي ينهى عن النظر في كتب الفلاسفة والمعتزلة، ويرى أنها سبب للوقوع في الشرك والشك والزيغ، وجَوَّز النظر في كتب الأشعري لمن عرف أخطاءه، ولكنه لم يقف على شيء من كتب ابن كلاَّب، وكان يرى أن كتاب التوحيد للماتريدي فيه تطويل، وأن ترتيبه صعب؛ لذلك ألف كتاب أصول الدين، وهو عبارة عن إعادة ترتيب وتبسيط لكتاب التوحيد للماتريدي مع بعض إضافات، كخلافه مع الأشعرية .

ومن أشهر كتبه : المرطب، وهو حاشية على كتاب الجامع الصغير للشيباني، وكتاب : الواقعات، وكتاب : المبسوط، وهما في الفقه، وكتاب : أصول الدين، السابق الذكر .

وكانت له مكانة كبيرة جداً عند الماتريدية، وتتلمذ عليه كثيرون، من أشهرهم : ولده القاضي أحمد أبو المعالي، ونجم الدين عمر بن محمد النسفي صاحب العقائد النسفية، وعثمان بن علي البيكندي، وأحمد بن نصر البخاري . توفي ببخارى سنة ٤٩٣ هـ .

(٢) أبو المعين النسفي[١]:

ميمون بن محمد بن محمد بن معتمد بن محمد بن محمد ابن مكحول بن أبي الفضل المكحولي، نسبة إلى نسف، مدينة كبيرة بين جيحون وسمرقند، والمكحولي نسبة إلى جده الأعلى

(١) انظر ترجمته في: الجواهر المضيئة (٣/ ٥٢٧)، تاج التراجم (٧٨)، كشف الظنون (١/ ٢٢٥، ٣٣٧، ٤٨٤، ٥٧٠)، هدية العارفين (٢/ ٤٨٧)، معجم المؤلفين (١٣/ ٦٦)، الأعلام (٧/ ٣٤١)، وغيرها .

مكحول، وغلبت عليه النسبة إلى البلد، لقب بعدة ألقاب، وقد ولد سنة ٤٣٨ هـ .

ويعتبر من أشهر علماء الماتريدية، ويعد في الماتريدية كالباقلاني والغزالي في الأشعرية، ومن مؤلفاته : تبصرة الأدلة، وهو أشهر مؤلفاته، ويعتبر من أهم الكتب في عقائد الماتريدية، بل هو أوسعها وأشملها على الإطلاق، وهو عبارة عن عرض لعقائد الماتريدية، ورد على مخالفيهم، وخصوصاً المعتزلة، وله كذلك كتاب : بحر الكلام، وكتاب التمهيد، وهو عبارة عن مختصر لتبصرة الأدلة، وكتاب شرح الجامع الكبير للشيباني، وكتاب : إيضاح المحجة لكون العقل حجة، وكتاب : مناهج الأئمة، وغيرها، توفي سنة ٥٠٨ هـ عن سبعين سنة .

(٣) نور الدين الصابوني[(١)] :

أحمد بن أبي بكر الصابوني البخاري أبو محمد، ولقبه نور الدين، ولا يعرف تاريخ مولده، لكنه توفي ليلة الثلاثاء السادس عشر من صفر سنة ٥٨٠ هـ .

ومن مؤلفاته : البداية في أصول الدين، والمغني في أصول الدين، وذكر ابن قطلوبغا، والهداية في علم الكلام، والكفاية في الهداية، وغيرها .

---

(١) انظر ترجمته في : الجواهر المضيئة (١/٣٢٨، ٣/٢٢٩)، الطبقات السنية (٢/١٠٢)، كشف الظنون (٢/١٤٩٩، ١٥٠٠، ٢٠٤٠)، إيضاح المكنون (١/١٦٩، ٢/٣٧١)، الفوائد البهية (٤٢)، معجم المؤلفين (٢/١١، ١٧١)، الأعلام (١/٢٥٣) .

(٤) الكوثري :

محمد زاهد بن الحسن التركي الجركسي[١]، نسبة إلى أحد أجداده كوثر، أو إلى قرية الكواثرة بضفة نهر شبز ببلاد القوقاز، وقاعدة النسب ترجح الأول .

ولد ونشأ في قرية من أعمال دوزجة بشرق الآستانة، وتفقه في جامع الفاتح بالآستانة، واضطهده الاتحاديون خلال الحرب العالمية الأولى، فاتجه إلى الإسكندرية سنة ١٣٤١ هـ، وتنقل بين مصر والشام، ثم استقر في القاهرة موظفاً في دار المحفوظات، يترجم الوثائق التركية إلى العربية، ويكتب ويصنف، وكان يجيد عدة لغات، وتوفي بالقاهرة سنة ١٣٧١ هـ . وكان من أشهر متأخري الماتريدية، ومن أشدهم على أهل السنة، أكثر من الطعن والسب والقدح في أئمة أهل السنة، وتمجيد الماتريدية، وله كتب ومؤلفات كثيرة، منها : تأنيب الخطيب، وكتاب مقالات الكوثري، وتعليق على كتاب العالم والمتعلم، وكتاب الرسالة، وكتاب الفقه الأبسط المنسوب إلى أبي حنيفة، وكتاب تبديد الظلام المخيم من نونية ابن القيم، وله كتب وتعليقات أخرى كثيرة .

ثانياً : الفـرق :

لم تفترق الماتريدية إلى فرق بينها تباين في الأصول أو نحو ذلك، لكن يمكن القول بأن هناك مدارس للماتريدية، تولت نشر

---

(١) انظر ترجمته في: الأعلام (٦/١٢٩)، معجم المؤلفين (١٠/٤ ـ ٥)، تشنيف الأسماع (٢٠٥ ـ ٢١٦)، مخالفة الكوثري لاعتقاد السلف للدكتور/ محمد الخميس .

عقائدها والدفاع عنها في زمن معين أو في بلد معين، فمنها : البريلوية، والديوبندية، وغيرها .

(و) الانتشار في العصر الحاضر :

نستطيع القول بأن الماتريدية مع الأشعرية قد تقاسموا الانتشار والتسلط في معظم المدارس والجماعات في أكثر البلاد الإسلامية ما عدا الديار السعودية . وقد انتسب إلى الماتريدية عامة متأخري الحنفية، بل وأكثر متقدميهم كذلك . والعقائد الماتريدية منتشرة في بلاد العجم، كالهند وباكستان وتركيا وغيرها، وكذلك فإنها واسعة الانتشار في معظم البلاد العربية مع الأشعرية، وقد أطلقوا على أنفسهم اسم أهل السنة، وسموا علم التوحيد علم الكلام، وعمت بهم البلوى في الأزمنة المتأخرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله . وكان من أهم أسباب انتشار عقائدهم ونفوذهم ما كان من تبني الدولة العثمانية للمذهب الماتريدي، ومحاولتها فرضه في كل الولايات الخاضعة لها، والعمل على تمكين الماتريدية من كل الوظائف الدينية، كالإفتاء والقضاء والتدريس وغيره؛ فلذلك انتشر هذا المذهب في كثير من البلاد الإسلامية كما سبق .

(ز) التقـويم :

تقدم القول أن الماتريدية وافقوا أهل السنة والجماعة في بعض أصولهم، وسبق بيانها، لكنهم خالفوهم كذلك في أصول أخرى وقد سبق الكلام عنها كذلك، فهم كسائر الطوائف الأخرى التي خالفت أهل السنة في أمور، عندهم حق وباطل، لكنهم أبعد عن أهل السنة من الكُلاَّبية، فالكُلاَّبية كانوا أقرب منهم إلى أهل

السنة والجماعة، وهؤلاء أبعد عن الحق من الكُلاَّبية، لكنهم على كل حال أقل شرًّا وأخف خطراً من الجهمية والمعتزلة وأشباههم، غير أنه ينبغي الحذر من المسائل التي خالفوا أهل السنة فيها، وينبغي الاحتياط من دعواهم أنهم أهل السنة والجماعة .

مراجع للتوسع :

(١) الماتريدية دراسة وتقويم . لأحمد بن عوض الله الحربي .

(٢) الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات . للشمس السلفي الأفغاني .

(٣) منهج الماتريدية في العقيدة . للدكتور محمد بن عبدالرحمن الخميس .

الكُلاَّبية

(أ) التعريف :

الكلابية فرقة تنتسب إلى أبي محمد عبدالله بن سعيد بن كُلاَّب القطان البصري . ولقب كُلاَّباً لأنه كان يجتذب الخصم إليه بقوته في المناظرة، كما يجتذب الكُلاَّب الشيء إليه . وكان رأس المتكلمين بالبصرة في زمنه[١] . وكان يرد على المعتزلة والجهمية، وكانت له معهم مناظرات ومجادلات، وهو الذي دمر المعتزلة في مجلس الخليفة المأمون وفضحهم ببيانه[٢] . وزعم البعض أنه أخو يحيى بن سعيد القطان الحافظ العالم بالحديث النبوي، وهذا غير

---

(١) السير (١١/ ١٧٤) .

(٢) أصول الدين للبغدادي ص (٣٠٩) .

صحيح[١]. واتهم ابن كلاب بأنه ابتدع أقواله ليدخل دين النصارى في دين المسلمين إرضاء لأخته النصرانية لما اعترضت على إسلامه، وقد كذب ذلك ابن تيمية[٢] والذهبي[٣].

ولم تشر مصادر ترجمته إلى شيوخه، وأما تلامذته فقد ذكر منهم الذهبي[٤]: داود الظاهري، والحارث المحاسبي .

(ب) النشأة والتطور :

نشأت الكلابية على يد عبدالله بن سعيد بن كلاب الذي عاش في زمن شهد سطوة المعتزلة وتسلطهم واستمالتهم للخلفاء، وبلغ ذلك ذروته في عهد الخليفة المأمون بن هارون الرشيد، واستمر في عهد المعتصم والواثق إلى أن رفع الله هذا البلاء في زمن المتوكل. وقد وقعت مناظرات ومساجلات بين ابن كلاب وبين المعتزله والجهمية، وأراد ابن كلاب نصرة عقيدة السلف الصالح بالطرق والبراهين العقلية والأصولية، حتى عدَّه كثير من المؤرخين للفرق من متكلمة أهل السنة والجماعة .

قال المقدسي : الكلابية أصحاب عبدالله بن كلاب، مناظرهم ولسانهم وبدرهم[٥].

---

(١) لسان الميزان (٣/ ٢٩١)، إتحاف السادة المتقين (٢/ ٦) .

(٢) منهاج السنة (٢/ ٣٩٧)، ودرء التعارض (٦/ ١٥٥)، ومجموع الفتاوى (٥/ ٥٥٥، ٨/ ١١٥) .

(٣) السير (١١/ ١٧٥) .

(٤) السير (١١/ ١٧٥) .

(٥) البدء والتاريخ (٥/ ١٥٠) .

وقال الشهرستاني : حتى انتهى الزمان إلى عبدالله بن سعيد الكلابي، وأبي العباس القلانسي، والحارث بن أسد المحاسبي . وهؤلاء كانوا من جملة السلف، إلا أنهم باشروا علم الكلام، وأيدوا عقائد السلف بحجج كلامية وبراهين أصولية[١] .

وهذان المذكوران ـ المحاسبي والقلانسي ـ وغيرهما، هم من تلامذته الذين نشروا مذهبه، إلى أن تلقف هذا المذهب في القرن الرابع الهجري كل من : أبي منصور الماتريدي المتوفى سنة (٣٣٣)، وأبي الحسن الأشعري المتوفى سنة (٣٣٠)، فنشرا أقوال ابن كلاب، وأشاعاها، وهكذا تطور المذهب الكلابي على أيدي هؤلاء ومن جاء بعدهم من الماتريدية والأشعرية، وذلك كما في مسائل العلو والاستواء والرؤية وغيرها على النحو التالي :

(١) كان ابن كلاب مثبتاً للعلو والاستواء، مثبتاً للرؤية، بينما نفى الماتريدية والأشعرية صفة العلو، وقالوا : إن الله لا داخل العالم ولا خارجه . وأولوا الاستواء بأنه الاستيلاء، وأما بخصوص الرؤية فإنهم اشترطوا لها شروطاً مخترعة، فقالوا : يرى بلا جهة ولا مسافة . بل إن بعض محققيهم صرحوا بأنه ليس بينهم وبين المعتزلة خلاف في مسألة الرؤية فإنها ـ عندهم ـ رؤية قلبية وليست بصرية .

(٢) في الإيمان : كان ابن كلاب يقول في الإيمان : إنه معرفة بالقلب وإقرار باللسان . ويرى صحة إيمان المقلد،

---

(١) الملل والنحل (١/ ٨٥) .

ويحكم له بالإسلام، بينما يذهب جمهور الأشعرية والماتريدية إلى أن الإيمان تصديق بالقلب، ولا يشترطون لزوم النطق باللسان . ويرى بعض منهم عدم صحة إيمان المقلد[١] .

(٣) في القدر : كان ابن كلاب يثبت القدر في الجملة على طريقة أهل السنة والجماعة، أما الأشعري فإنه أتى بعد ذلك بنظرية[٢] الكسب، وهي أقرب ما تكون إلى مذهب الجبرية .

(ج) مصادر التلقي :

ذكرنا فيما سبق أن ابن كلاب أراد نصرة السنة ببراهين أصولية وحجج عقلية؛ فلذا كان يقدم العقل على النقل في بعض المسائل، قال السجزي : « فلما نبغ ابن كلاب وأضرابه وحاولوا الرد على المعتزلة من طريق مجرد العقل وهم لا يخبرون أصول السنة ولا ما كان السلف عليه ولا يحتجون بالأخبار الواردة في ذلك زعماً منهم أنها أخبار آحاد وهي لا توجب علماً »[٣] .

فمن ذلك : مسألة القرآن :

فقد كان الناس فريقين في شأن القرآن، حيث ذهب أهل السنة إلى أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وذهب المعتزلة إلى أنه مخلوق، فحاول ابن كلاب التوسط بين المذهبين، فأتى بقول هو تلفيق منهما، فقال : « إن القرآن هو حكاية عن كلام الله » . هذا

---

(١) انظر فتح الباري لابن حجر (١٣ : ٣٦٢) .
(٢) شرح المواقف (٨/ ١٤٥، ١٤٦) .
(٣) الرد على من أنكر الحرف والصوت للسجزي (ص ٨١) .

مع أنه يقول : « إن كلام الله تعالى غير مخلوق » . وهو أول من أحدث القول ببدعة الكلام النفسي وأنكر الحرف والصوت، وهذه البدعة لا دليل عليها من الشرع، وإنما أتى بها لما ظنها دليلاً عقلياً لنصرة مذهب أهل السنة والجماعة(١) .

بعض مسائل الصفات :

فقد صرف بعض النصوص في الصفات عن ظاهرها، واستخدم التأويل العقلي، وذلك في مثل صفة الأصابع لله تعالى، فقد صرف النص عن ظاهره، وأول الأصابع بأنها نعم الله تعالى، فحديث : « **إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن. . .** »(٢) فالإصبعان هنا نعمتان من نعم الله تعالى(٣) .

وأما عموم المسائل الأخرى فإنه قدم فيها النقل على العقل . ومما يدل على ذلك إثباته للصفات الخبرية، كالوجه والعين واليد، والصفات الفعلية، كالعلو والاستواء . فقد قال بعد كلامه عن تقرير صفة العلو : فكيف يكون الحق في خلاف ذلك والكتاب ناطق به وشاهد له(٤) .

أما من اتبعوا طريقته فقد توسعوا في استعمال العقل حتى قدموه على النقل في أكثر المسائل، ويدل على ذلك إنكارهم

---

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة .

(٢) مسلم، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء (٤/ ٢٠٤٥/ح ٢٦٥٤) من حديث عبدالله بن عمرو .

(٣) طبقات الحنابلة (٢/ ١٣٣) .

(٤) درء التعارض (٦/ ١٩٤) ونقله عن ابن فورك .

للصفات الخبرية، كالوجه والعين واليدين، وكذلك الصفات الفعلية، كالعلو والاستواء وغيرها، وكثير من هؤلاء ممن انتسب إلى الأشعري والماتريدي . وسأنقل هنا قولاً لأحد أئمة الماتريدية في بيان منهجهم، ثم أتبعه بقول لأحد أئمة الأشعرية توضح منهجهم كذلك في التلقي :

(١) قال الزبيدي الماتريدي: إن الشرع إنما ثبت بالعقل . . . ، فلو أتى الشرع بما يكذبه العقل وهو شاهده لبطل الشرع والعقل معاً . إذا تقرر هذا فنقول : كل لفظ يرد في الشرع . . . وهو مخالف للعقل . . . إما أن يتواتر أو ينقل آحاداً، والآحاد إن كان نصاً لا يحتمل التأويل قطعنا بافتراء ناقله أو سهوه أو غلطه، وإن كان ظاهراً فظاهره غير مراد، وإن كان متواتراً فلا يتصور أن يكون نصًّا لا يحتمل التأويل، بل لا بد وأن يكون ظاهراً . . .[(١)].

(٢) قال الرازي الأشعري : اعلم أن الدلائل القطعية العقلية إذا قامت على ثبوت شيء ثم وجدنا أدلة نقلية يشعر ظاهرها بخلاف ذلك، فهناك لا يخلو الحال من أحد أمور أربعة :

(أ) إما أن يصدق مقتضى العقل والنقل فيلزم تصديق النقيضين، وهو محال .

(ب) وإما أن يبطل فيلزم تكذيب النقيضين، وهو محال .

(ج) وإما أن يصدق الظواهر النقلية ويكذب الظواهر العقلية،

---

(١) شرح الإحياء للزبيدي (٢/ ١٠٥، ١٠٦)، وانظر أصل هذا القانون الكلي في تبصرة الأدلة (ص ٥٤)، والنور اللامع (ص ٨٠، ٨١) .

وذلك باطل؛ لأنه لا يمكننا أن نعرف صحة الظواهر النقلية إلا إذا عرفنا بالدلائل العقلية إثبات الصانع وصفاته وكيفية دلالة المعجزة على صدق الرسول ﷺ وظهور المعجزات على محمد ﷺ، ولو جوزنا القدح في الدلائل العقلية القطعية، صار العقل متهماً غير مقبول القول، ولو كان كذلك لخرج أن يكون مقبول القول في هذه الأصول، وإذا لم تثبت هذه الأصول خرجت الدلائل النقلية عن كونها مفيدة، فثبت أن القدح في العقل لتصحيح النقل يفضي إلى القدح في العقل والنقل معاً وأنه باطل، ولما بطلت الأقسام الأربعة لم يبق إلا أن يقطع بمقتضى الدلائل العقلية القاطعة بأن هذه الدلائل النقلية إما أن يقال : إنها غير صحيحة، أو يقال : إنها صحيحة، إلا أن المراد منها غير ظواهرها . . .[(١)].

والحاصل أن عامة المتبعين لابن كلاب من المتأخرين يجعلون العقل أصل التلقي في مسائل الإلـٰهيات ويجعلون النقل تابعاً، ثم إن أهل التصوف منهم يضيفون الكشف والذوق كمصادر للتلقي، فيقدمونها على النص، ويؤولون النص ليوافقهم[(٢)].

وكل هذه الطرق مخالفة للحق الذي ينبغي أن يكون عليه المسلم . والواجب تقديم النص والنقل على ما عداه، فإنه وحي الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وأما العقل فإنه يخطىء ويصيب، ولا يجوز جعله عمدة التلقي فضلاً

---

(١) أساس التقديس للرازي (١٦٨، ١٧٣) .
(٢) الرسالة اللدنية للغزالي ضمن مجموعة القصور العوالي (١/ ١١٤ - ١١٨) .

عن تقديمه على النقل والنص . والنص حجة بين الإنسان وبين ربه عز وجل فالواجب تقديمه على كل ما سواه، وجعله العمدة في التلقي، وما سواه فإنه له تابع وشاهد فقط .

(د) الأصول والمبادىء :

لقد وافق ابن كُلَّاب أهل السنة والجماعة في بعض أصوله، وخالفهم في بعضها الآخر . وسوف أقتصر فقط على ابن كُلَّاب دون المنتسبين إليه الذين لحق بعضهم بالماتريدي وبعضهم بالأشعري . ونظراً لعدم وجود كتب لابن كُلَّاب، فسأنقل عنه من خلال المصادر التي ذكرت أقواله كمقالات الأشعري وغيرها .

أولاً: الأصول التي وافق فيها ابن كُلَّاب أهل السنة والجماعة:

(١) إثبات الأسماء الحسنى لله تعالى :

فيقول : لم يزل الله تعالى عالماً، قادراً، حياً، سميعاً، بصيراً، عزيزاً، عظيماً، جليلاً، متكبراً، جباراً، كريماً، جواداً، واحداً، صمداً، فرداً، باقياً، رباً، إلـهاً، مريداً، كارهاً، راضياً عمن علم أنه يموت مؤمناً وإن كان أكثر عمره كافراً، ساخطاً على من علم أنه يموت كافراً وإن كان أكثر عمره مؤمناً، محباً، مبغضاً، موالياً، معادياً، قائلاً، متكلماً، رحماناً [١] .

(٢) في الصفات :

(أ) الصفات الخبرية :

يثبت ابن كُلَّاب بعض الصفات الخبرية، كالوجه واليد والعين

(١) مقالات الإسلاميين للأشعري (ص ١٦٩) ط . ريتر .

والحياة والسمع والبصر والقدرة، فيقول : « أطلق اليد والعين والوجه خبراً؛ لأن الله أطلق ذلك، ولا أطلق غيره، فأقول : هي صفات الله عز وجل، كما قال في العلم والقدرة والحياة أنها صفات »[1].

وقال : « بعلم، وقدرة، وحياة، وسمع، وبصر، وعزة، وعظمة، وجلال، وكبرياء، وجود، وكرم، وبقاء، وإرادة، وكراهة، ورضى، وسخط، وحب، وبغض، وموالاة، ومعاداة، وقول، وكلام، ورحمة، وأنه قديم لم يزل بأسمائه وصفاته »[2].

ويقول أيضاً : « معنى أنه عالم : أن له علماً، ومعنى أنه قادر : أن له القدرة، ومعني أنه حي : أن له حياة، وكذلك القول في سائر أسمائه وصفاته »[3].

(ب) الصفات الفعلية :

يثبت ابن كُلَّاب بعض الصفات الفعلية، كالاستواء والعلو، فيقول في كتاب الصفات : « فرسول الله ﷺ وهو صفوة الله من خلقه، وخيرته من بريته، وأعلمهم جميعاً به، يجيز السؤال بأين وبقوله، ويستصوب قول القائل : إنه في السماء، ويشهد له بالإيمان عند ذلك، وجهم بن صفوان وأصحابه لا يجيزون الأين زعموا، ويحيلون القول به، ولو كان خطأ كان رسول الله ﷺ أحق بالإنكار له، وكان ينبغي أن يقول لها : لا تقولي ذلك فتوهمين أن الله عز وجل محدود، وأنه في مكان دون مكان، ولكن قولي :

(١) مقالات الإسلاميين (ص ٢١٧، ٢١٨) .

(٢) مقالات الإسلاميين (ص ١٦٩) .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

إنه في كل مكان؛ لأنه الصواب دون ما قلت، كلا، لقد أجازه رسول الله ﷺ مع علمه بما فيه وأنه أصوب الأقاويل، والأمر الذي يوجب الإيمان لقائله، ومن أجله شهد لها بالإيمان حين قالته، فكيف يكون الحق في خلاف ذلك ؟ والكتاب ناطق به وشاهد له »[١] .

وقال ابن كُلَّاب أيضاً : ولو لم يشهد لصحة مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الفن خاصة إلا ما ذكرنا من هذه الأمور لكان فيه ما يكفي، كيف وقد غرس في بنية الفطرة ومعارف الآدميين من ذلك ما لا شيء أبين منه ولا أوكد ؟ لأنك لا تسأل أحداً من الناس عنه، عربياً ولا عجمياً، ولا مؤمناً ولا كافراً، فتقول : أين ربك ؟ إلا قال : في السماء، إن أفصح، أو أومأ بيده أو أشار بطرفه إن كان لا يفصح، ولا يشير إلى غير ذلك من أرض ولا سهل ولا جبل، ولا رأينا أحداً داعياً له إلا رافعاً يديه إلى السماء، ولا وجدنا أحداً غير الجهمية يسأل عن ربه فيقول : في كل مكان ـ كما يقولون ـ وهم يدَّعون أنهم أفضل الناس كلهم، فتاهت العقول، وسقطت الأخبار، واهتدى جهم وحده وخمسون رجلاً معه، نعوذ بالله من مضلات الفتن[٢] .

وأما الاستواء فإنه يقول : فنحن لا نحتشم أن نقول : استوى الله على العرش، ونحتشم أن نقول استوى على الأرض، واستوى على الجدار وفي صدر البيت[٣] .

---

(١) درء التعارض (٦/ ١٩٣، ١٩٤)، ونقله عن ابن فورك .

(٢) نفس المصدر السابق (٦/ ١٩٤) .

(٣) نفس المصدر (٦/ ١١٩، ١٢٠) .

ويرى ابن كُلاَّب أن استواء الله تعالى على العرش بلا مماسة[1] .

(٣) في الرؤية :

يثبت ابن كُلاَّب رؤية المؤمنين لربهم سبحانه وتعالى بأبصارهم في الجنة، ولا يرى مانعاً عقلياً من ذلك، بالنظر إلى أن كل قائم بنفسه يرى[2] .

(٤) في الإيمان :

يوافق ابن كُلاَّب أهل السنة والجماعة في الحكم بصحة إيمان المقلد، وكذلك يوافق أهل السنة أيضاً في شأن مرتكب الكبيرة، وأنه فاسق لم يخرج من الإيمان، وإنما هو تحت المشيئة الإلـٰهية، فإن شاء عذبه، وإن شاء غفر له[3] .

غير أنه يأخذ اتجاهاً مخالفاً لأهل السنة في تعريف الإيمان، كما سترى ذلك فيما بعد ـ إن شاء الله ـ ضمن الأصول التي خالف فيها أهل السنة .

(٥) القدر :

يثبت ابن كُلاَّب أن الخير والشر بإرادة الله تعالى، وأن ما يقع في الكون بمشيئة الله وإرادته، وأن أفعال العباد من خير وشر خلق لله تعالى .

---

(١) أصول الدين للبغدادي (ص ١١٣) .

(٢) المجرد لابن فورك (ص ٣٣٣)، وأصول الدين للبغدادي (ص ٩٧)، والأشعري في المقالات (٢٩٨)، وابن تيمية في منهاج السنة (٣/ ٢٥٤) .

(٣) المقالات للأشعري (٢٩٣، ٢٩٨) .

يقول ابن كُلَّاب : أقول في الجملة : إن الله أراد حدوث الحوادث كلها خيرها وشرها، ولا أقول في التفصيل : إنه أراد المعاصي، وإن كانت من جملة الحوادث التي أراد حدوثها . كما أقول في الجملة عند الدعاء : يا خالق الأجسام . ولا أقول : يا خالق القرود والخنازير والدم والنجاسات، وإن كان هو الخالق لهذه الأشياء كلها[(١)]

ثانياً : الأصول التي خالف ابن كلاب فيها أهل السنة والجماعة :

(١) في الصفات :

فابن كُلَّاب وإن وافق السلف في إثبات صفات الذات، لكنه خالفهم فنفى الصفات والأفعال الاختيارية، مثل : الرضى والغضب والمحبة والكرم، بل جعل كل هذه الصفات ذاتية أزلية، تماماً كصفات السمع والبصر؛ وذلك لأنه ينفي الصفات والأفعال الاختيارية، لأنه يرى أن في إثباتها إقراراً بحلول الحوادث في ذات الله تعالى، كذلك روي عنه التأويل في بعض الصفات، حيث أوَّل الأصابع بالنعمة .

(٢) في مسألة القرآن والكلام الإلـٰهي :

فعلى الرغم من إقرار ابن كُلَّاب بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، لكنه أتى ببدعة عجيبة، وهي أن القرآن إنما هو حكاية عن كلام الله تعالى، وأتى ببدعة الكلام النفسي الذي ليس بحرف ولا صوت[(٢)]، وقال : إن الكلام الإلـٰهي قائم بذات الله، تماماً

---

(١) أصول الدين للبغدادي (ص ١٠٤) .

(٢) الرد على من أنكر الحرف والصوت للسجزي (ص ٨١) و (ص ١٧٨) .

كما أن القدرة قائمة به، والعلم قائم به، وأن كلام الله تعالى لا ينقسم ولا يتبعض، وليس بحروف وصوت، وأنه معنى واحد بالله عز وجل، وأن رسم القرآن يتغاير، ولكن كلام الله نفسه لا يتغاير ولا يتجزأ، وأنه معنى واحد، وإنما يسمى أمراً لعلة، ونهياً لعلة، وخبراً لعلة، وأن كلامه تعالى لا يتصف بالأمر والنهي والخبر أزلاً، بل يرى أن هذه الأمور حادثة مع قدم الكلام الإلـٰهي نفسه، وهكذا يطول كلامه في شأن القرآن، لكنه إن وافق أهل السنة في جزء من كلامه فقد خالفهم في كثير مما يتعلق بصفة الكلام، كما يتضح ذلك مما نقلناه[1].

(٣) قوله بالموافاة :

ومعناها أن الله لم يزل راضياً عمن يعلم أنه يموت مؤمناً، وإن كان أكثر عمره كافراً، ولم يزل ساخطاً على من يعلم أنه يموت كافراً، حتى وإن كان أكثر عمره مؤمناً . ويفهم من ذلك أن الرضى عن المؤمن ـ الذي كان كافراً ـ بعد السخط عليه لا يكون أبداً؛ حتى لا يقول : إن الله حدث له أمر لم يكن موجوداً من قبل[2].

(٤) في الإيمان :

يذهب ابن كُلَّاب إلى تعريف الإيمان بأنه الإقرار باللسان

---

(١) المقالات للأشعري (ص ٢٩٨، ٥٨٤، ٥٨٥)، المجرد لابن فورك (ص ٦٠)، مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٧٢)، التسعينية لابن تيمية (ص ٨٧)، مختصر الصواعق (٢/ ٢٩٠)، أصول الدين للبغدادي (ص ١٠٨)، الإرشاد للجويني (ص ١١٩)، نهاية الإقدام للشهرستاني (ص ٣٠٣) .

(٢) المقالات للأشعري (ص ٢٩٨، ٥٤٧)، المجرد لابن فورك (ص ٤٥) .

والمعرفة . وهو بهذا يخالف جماهير أهل السنة والجماعة، فإن الإيمان عند السلف ـ أهل السنة والجماعة ـ تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح[١] . فهم يجعلون الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، أما ابن كُلَّاب فيخالفهم في ذلك، وإن كان يوافق في مسألة صحة إيمان المقلد ومرتكب الكبيرة كما سبق الكلام عنه .

وكذلك له قول آخر عجيب في صفات الذات، وهو أن صفات الباري سبحانه وتعالى لا تتغاير، وأن العلم لا هو القدرة ولا غيرها، وكذلك كل صفة من صفات الذات لا هي الصفة الأخرى ولا غيرها[٢] .

وهو بهذا يقترب من قول النفاة من المعتزلة، كأبي الهذيل العلاف المعتزلي، فإن الأشعري لما نقل مقالة أبي الهذيل في صفات الذات، وأن الصفة منها لا يقال فيها هي الأخرى ولا هي غيرها، قال الأشعري : وهذا نحو ما أنكر من قول عبدالله بن كُلَّاب[٣] .

(هـ) أشهر الرجال والفرق :

(١) أشهر الرجال :

قام تلامذة لعبدالله بن كُلَّاب بنشر مذهبه والانتصار له والذب عنه؛ لذلك سُمُّوا الكُلَّابية، وأشهر هؤلاء التلاميذ هم :

---

(١) أصول الدين للبغدادي (ص ١٠٤، ١٤٩)، وطبقات السبكي (١/ ٩٥) .

(٢) المقالات (ص ١٧٠، ٥٤٦) .

(٣) المقالات (ص ١١٧) .

(أ) الحارث بن أسد المحاسبي البغدادي، أبو عبدالله :

ولد بالبصرة عام ١٦٥ هـ تقريباً، وانتقل إلى بغداد فعاش بها، وكان المحاسبي مشهوراً بالتصوف، وكان يرى كفر المعتزلة، وكان على خلاف مع أبيه الذي نسب إلى القول في القدر بقول المعتزلة، حتى إن الحارث دعاه إلى تطليق أمه، ولما مات لم يأخذ من تركته شيئاً .

وكان الحارث على صلة بأهل الحديث، وروى عن بعضهم، لكنه انشغل بالتصوف والكتابة في شأن التصوف حتى نقم عليه أهل الحديث، ومنهم الإمام أحمد رحمه الله تعالى .

وقد اهتم المحاسبي اهتماماً كبيراً بإصلاح القلب والنية والعمل، وصنف في ذلك التصانيف الكثيرة، واهتم به جداً، وكان مع ذلك يأمر باتباع الكتاب والسنة ولزوم حدودهما، ويحذر من مخالفتهما جداً، غير أنه انتقد بعض أهل الحديث والفقه بما لا يتابع ولا يوافق عليه بحال . وقد وافق الحارث أهل السنة في إثبات الصفات الإلـٰهية على الجملة، وكذلك إثبات أن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق، كذلك فإنه انتصر بشدة لإثبات صفة العلو والاستواء، ورد على الحلولية رداً موسعاً قوياً، وكذلك وافق أهل السنة في إثبات الشفاعة، وفي مسألة مرتكب الكبيرة، وشنع بشدة على المعتزلة ووصفهم بالضلال .

غير أنه قد روي عنه أقوال في شأن الصفات والأفعال الاختيارية يوافق فيها ابن كُلَّاب، بما يعني نفي الصفات والأفعال الاختيارية، إذ حكم بأزلية الصفات جميعها، وله نصوص في

ذلك يرجع إليها في مواضعها[١].

وقد ذكر غير واحد أنه وافق ابن كُلَّاب في هذه المقالات ونحوها[٢]. وتوفي الحارث بن أسد المحاسبي ببغداد في عام ٢٤٣ هـ[٣].

(ب) أبو العباس القلانسي :

تاريخ ولادة القلانسي غير محدد على وجه الدقة؛ وذلك لأن كتب التراجم لم تهتم بترجمته كثيراً، وكذلك تاريخ وفاته، لكن المؤكد أنه كان معاصراً لأبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى[٤].

وقد اتفق القلانسي مع ابن كُلَّاب في أكثر المسائل التي انفرد بها عن جمهور أهل السنة، ومنها قوله : إن الله قديم بقدم هو قائم به . خلافاً للأشعري القائل بأنه قديم لذاته[٥]. وقد أجاز وجود الكلام لما ليس بحي، وذلك خلافاً للأشعرية الذين جعلوا

---

(١) فهم القرآن للمحاسبي (ص ٢٦٣، ٣٠٧، ٣٤٠ ـ ٣٤٦، ٣٧٠) .

(٢) المنهاج لابن تيمية (١/ ٢١٧، ٢١٨)، والموافقة له أيضاً (٢ ص ١٣٠، ٣ ص ٢٣٩)، وأصول الدين للبغدادي (ص ٢٢٢، ٢٥٤)، وإشارات المرام للبياض (ص ٢١٤، ٢٥٣)، ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للنشار (١/ ٣٣١) .

(٣) لترجمته انظر : الحلية (١٠/ ٧٣)، تاريخ بغداد (٨/ ٢١١)، الأنساب (١٢/ ١٠٣)، طبقات السبكي (٢/ ٢٧٥)، تهذيب الكمال للمزى (٥/ ٢٠٨)، السير للذهبي (١٢/ ١١٠)، تهذيب التهذيب (٢/ [illegible] البداية والنهاية (١٠/ ٣٣٠، ٣٣١، ٣٤٥) وغيرها .

(٤) تبيين كذب المفتري (ص ٣٩٨) .

(٥) أصول الدين للبغدادي (ص ٨٩) .

الحياة شرطاً للكلام(١). وله أقوال أخرى في مسائل وافق فيها ابن كُلاَّب.

وقد نسبه إلى الكُلاَّبية جماعة، منهم البغدادي في أصول الدين، ومنهم الشهرستاني، ومنهم ابن تيمية رحمه الله تعالى.

لكن يرى ابن تيمية أن القلانسي كان أقرب إلى أهل السنة من كُلاَّبية خراسان، فيقول: «كما أن العراقيين المنتسبين إلى أهل الإثبات من أتباع ابن كُلاَّب، كأبي العباس القلانسي، وأبي الحسن الأشعري، وأبي الحسن علي بن مهدي الطبري، والقاضي أبي بكر بن الباقلاني وأمثالهم أقرب إلى السنة، وأتبع لأحمد بن حنبل وأمثاله من أهل خراسان المائلين إلى طريقة ابن كُلاَّب»(٢). فهذان الشيخان هما أشهر تلاميذ مدرسة ابن كُلاَّب الكلامية المذكورة.

وهناك تلاميذ آخرون لهذه المدرسة، لكنهم ليسوا كهذين في الشهرة، ولعل أبا الحسن الأشعري رحمه الله أشهر من سلك طريقة ابن كُلاَّب في كثير من مسائلها، لكن هذا كان في الطور الثاني من مراحله الفكرية، إلا أنه استقر في طوره الثالث والأخير على عقيدة أهل السنة؛ ولهذا فإننا لن تكلم هنا عن الأشعري. قال الشهرستاني: وأبو الحسن الأشعري لما رجع عن مذهب المعتزلة سلك طريقة ابن كُلاَّب(٣). لكن كما ذكرنا فإنه استقر في آخره على عقيدة السلف الصالح رحمهم الله تعالى.

---

(١) المصدر السابق (٢٩).

(٢) الملل والنحل (١/ ٨٩)

(٣) المَلل والنحل (١/ ٨٩).

(٢) الفرق :

لقد اندثر اسم كُلاَّب ـ أو كاد ـ ولم يعد له وجود كاسم إلا في كتب التاريخ والفرق، لكن المبادىء والأصول استمرت في أتباع أبي الحسن الأشعري وأتباع أبي منصور الماتريدي، الذين طوروا كثيراً من تلك الأصول .

(و) الانتشار في العصر الحاضر :

كما ذكرنا فإن الأشعرية والماتريدية هم الذين تلقفوا أصول الكُلاَّبية وطوروها وزادوا عليها، فحيثما وجد الأشعرية والماتريدية فهم حاملوا أصول الكُلاَّبية . ومن المعلوم أن كثيراً من الشافعية والمالكية في الأزمنة المتأخرة هم من الأشعرية، وكثيراً من الحنفية هم من الماتريدية . وهذا موجود في أكثر البلدان الإسلامية، بما فيها من جامعات إسلامية ومعاهد علمية، حيث سيطر عليها الأشعرية والماتريدية، فجعلوا مناهج دراسة العقائد هي المناهج الكلامية، بل وأصبح علم التوحيد نفسه عندهم يسمى علم الكلام، وأطلقوا على علمائهم الأشعرية والماتريدية لقب أهل السنة، فهم أصحاب السنة عندهم، وأما السلف الصالح فهم الحشوية والمجسمة، إلى غير ذلك من هذه الألقاب، فالله المستعان .

(ز) التقويم :

للإنصاف يمكننا القول بأن ابن كُلاَّب أقرب إلى أهل السنة من متأخرة الأشعرية؛ ولذلك عدَّه كثير من أهل العلم من متكلمة أهل السنة، والرجل كان من أهل الإثبات في الصفات، وإنما وقع

فيما وقع فيه من مخالفات حين أراد نصرة مذهب السلف بالأدلة العقلية فوقع فيما وقع فيه . فهم ـ أي الكُلاَّبية ـ أقرب المتكلمين إلى أهل السنة، ولكن على الرغم من ذلك فقد أنكر كثير من السلف عليهم إنكاراً شديداً، ومنهم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، فقد حذر منهم، وكان له مواقف مشهورة من الحارث المحاسبي، مردها إلى خوض هذا الأخير في علم الكلام، وقد ذكر ذلك المترجمون للمحاسبي(١) .

وممن أنكر عليهم كذلك الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة رحمه الله تعالى، الذي أنكر بشدة على اثنين من تلاميذه كانا يقولان بمذهب ابن كُلاَّب : أن الله تعالى لا يتكلم إذا شاء متى شاء وأن كلامه أزلي . فوقعت بينه وبينهما خصومة شهيرة، واستتابهم من أقوالهم هذه(٢) .

وممن أنكر عليهم أبو عبدالرحمن السلمي، الذي كان يلعن الكُلاَّبية(٣) . ومنهم أبو نصر السجزي، وكان يلعن الكُلاَّبية(٤)، وغيرهما(٥) .

---

(١) تاريخ بغداد (٨/ ٢١٤)، ميزان الاعتدال (١/ ٤٣٠)، الكامل في التاريخ (٧/ ٨٤)، تلبيس إبليس (١٦٢) .

(٢) درء التعارض (٢/ ٧٧)، والسير (١٤/ ٣٧٧) .

(٣) نقلاً عن درء التعارض (٢/ ٨٢) .

(٤) رسالة الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص ٨٧، ٨٨) .

(٥) درء التعارض (٢/ ٨٣) .

(ح) مراجع للتوسع :

(١) مقالات الإسلاميين . لأبي الحسن الأشعري .

(٢) الكُلاَّبية وأثرها في المدرسة الأشعرية . رسالة دكتوراه في كلية أصول الدين، قسم العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر بالقاهرة .

(٣) موقف ابن تيمية من الأشاعرة . د. عبدالرحمن بن صالح المحمود .

(٤) فهم القرآن . للحارث المحاسبي .

(٥) درء تعارض العقل والنقل . لابن تيمية .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .